

القضـــايا العقدية المتعلقة بالسحر

إعداد الدكتور

أحمد يوسف النصف

الأستاذ المشارك في كلية التربية الأساسية

التابعة للهيئة العامة للتعليم التطبيقي

والتدريب بدولة الكويت

(باحث رئيس)

إعداد الدكتور

عبد العزيز رشيد الأيوب

الأستاذ المشارك في كلية التربية الأساسية

التابعة للهيئة العامة للتعليم التطبيقي

والتدريب بدولة الكويت

(باحث مشارك)





مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية




بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية



ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى بيان وتوضيح ما جاء في الكتاب والسنة من نصوص متعلقة بالسحر، منها ما هو محذر وزاجر عن السحر، ومنها ما هو متعلق بمَن عَصَمَه الله تعالى، وهم الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام، وغير ذلك من مسائل وقضايا.

فتحرك العزم لدراسة هذه القضايا الهامة، فجاء هذا البحث بفضل الله تعالى ومعونته سبحانه.

والمنهج المستخدم في البحث هو منهج استقرائي تحليلي، يتتبع قضايا هذا البحث، واستقرائها من مظانها، وجمع المعلومات المتعلقة بها، ثم تحليل ودراسة ما تم استقراؤه وجمعه، للوصول إلى النتائج المرجوة من هذا البحث.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون البحث مكونًا من: مقدمة، وسبعة مباحث، وخاتمة وفيها أهم نتائج البحث، ثم قائمة المصادر والمراجع.

ومن أهم نتائج البحث:

١ - أثبت جماهير العلماء وجود السحر؛ لثبوته في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وخالف في ذلك فئة قليلة كابرت في ذلك.

٢ - السحر عند أكثر العلماء أمر غريب، يشبه خوارق العادات، وليس خارقاً للعادة؛ لأنه ينال بالتعلم والتتلمذ؛ يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان بارتكاب القبائح قولاً وعملاً.

٣- اختلف المثبتون للسحر: هل له حقيقة أم لا؟ فذهب بعضهم إلى أنه تخييل لا حقيقة له؛ وذهب الجمهور إلى أن له حقيقة.

٤ - عمل وفِعْل السحر حرام، وهو من كبائر الذنوب بالإجماع، ومن اعتقد إباحته فهو كافر.



MATTERS OF CREED CONCERNING BLACK MAGIC

DR AHMAD YOSSUF AL-NISF, ASSOCIATE PROFESSOR (MAJOR RESEARCHER), and DR ABDUL AZIZ RASHID AL-AYOUB (CO-RESEARCHER), ASSOCIATE PROFESSOR
COLLEGE OF FUNDAMENTAL EDUCATION, THE PUBLIC AUTHORITY FOR APPLIED EDUCATION AND TRAINING, KUWAIT
a.yossuf23@gmail.com



Abstract

This research paper aims at pointing out and clarifying the Qurʼānic and Prophetic texts that deal with black magic. Some of them warn against black magic and prohibit it, and others are concerned with those whom Allah, Glory be to Him, protected from black magic, namely the Prophets and angels, peace be on them all. The research tackles other questions and issues whose importance encouraged me to conduct this study. The researcher used an inductive analytical approach to search for the topics of the research, study them in their sources, collect the relevant material, study and analyze what has been collected and elicited to reach the results of the research. The research consists of an introduction, seven sections, a conclusion that has the results of the research, as well as a list of the references.

The most important results of the research include the following:

1. The majority of scholars have confirmed the existence of black magic as it is stated in the Qurʼān and the Prophet's tradition; a small number of scholars obstinately disagreed with this opinion.
2. To most scholars, black magic is a strange thing, which seems to be supernatural, but it is not since the magician acquires it by learning and by becoming a servant to the devils.
3. Those who believe in the existence of black magic have disagreed about it. Is it true or illusionary? The majority see that it is true.
4. It is unlawful (*harām*) to practice black magic, and there is a consensus that it is one of the grave sins, and that believing that it is allowed is contrary to faith.

Key words: matters of creed – black magic – existence of black magic







بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمـة

الحمد لله ربِّ العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئتَ من شيء بعد.

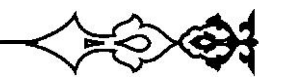
والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الأنبياء والمرسلين، والمبعوث رحمة للعالمين، سيدنا وحبيبنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعدُ، فإنه قد جاء في الكتاب والسنة نصوصٌ متعلقة بالسحر، منها ما هو محذر وزاجر عن السحر، ومنها ما هو متعلق بمَن عَصَمَه الله تعالى، وهم الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام.

فمثلاً نجد أحاديثَ تذكر وقوع السحر على نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلَّـم؛ وآياتٍ تذكر أنَّ سيدنا موسى -عليه الصلاة والسلام- قد خيّل إليه مِن سحر سحرة فرعون أن ما ألقوه حية تسعى فأوجس في نفسه خيفة؛ وآيةً تصرح بوقوع السحر على يد بعض ملائكة الله تعالى؛ وهناك نصوص يُفهم منها أن للسحر حقيقة، وأخرى يُفهم منها أنه عبارة عن تخييل وتمويه وإرادة لِمَا لا أصل له؛ وغير ذلك من مسائل وقضايا.

فتحرك العزم لدراسة هذه القضايا الهامة وغيرها، فجاء هذا البحث بفضل الله تعالى ومعونته سبحانه.

وتتضح أهمية هذا الموضوع: من خلال القضايا التي تُدرس في هذا البحث، وكيف أن بعضها مرتبط بمبدأ هامٍّ، وهو عصمة الأنبياء والملائكة عليهم أفضل الصلاة والسلام؛ فنجد أنَّ بعض الناس قد رفض الأحاديث المتعلقة بوقوع السحر على نبينا محمد صلى الله عليه وسلَّـم؛ لأنه يخل بعصمته -كما يزعم-.



والذي دفعنا لاختيار الموضوع: أن نصل إلى الصواب أو الأصوب فيما نناقشه من قضايا حول السحر؛ وأن يكون ذلك سبباً لنفع طلاب العلم على وجه الخصوص، ونفعِ هذه الأمة المرحومة على وجه العموم.



وأما عن المنهج الذي اعتمدناه في البحث: فهو المنهج الاستقرائي، والتحليلي؛ وذلك بتتبع قضايا هذا البحث، واستقرائها مِن مظانها، وجمع المعلومات المتعلقة بها؛ ثم تحليل ودراسة ما تم استقراؤه وجمعه؛ كل ذلك للوصول إلى النتائج المرجوة من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

وأما عن الدراسات السابقة لقضية السحر: فأكثرها لم تكن مؤلفات خاصة بهذه القضية، وإنما كان العلماء يناقشونها في كتب التفسير والحديث والسيرة غالباً.

ومن الكتب التي تناولت هذه القضية:

البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات، لأبي بكر الباقلاني (٤٠٣هـ).

والشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، للقاضي عياض اليحصبي (٥٤٤هـ).

والتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي (٦٠٦هـ).

والجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي (٦٧١هـ).

والمنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لمحيي الدين النووي (٦٧٦هـ).

وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧٧٤هـ).

وتفسير ابن عرفة الورغمي التونسي (٨٠٣هـ).

وفتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ).

والزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي (٩٧٣هـ).

وغير ذلك من كتب ومراجع.

وقد جاء عنوان هذا البحث ما يلي: «القضايا العقدية المتعلقة بالسحر».





وجاء منقسماً إلى سبعة مباحث وخاتمة:

المبحـــث الأول: تعريف السحر لغة واصطلاحاً.

المبحـــث الثاني: الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة.

المبحـــث الثالث: هل للسحر حقيقة؟

المبحـــث الرابع: هل يكفر الساحر؟ وهل يكفر مَن أتاه؟

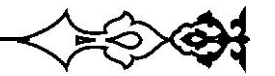
المبحث الخامس: قصة هاروت وماروت.

المبحث السادس: هل سُحِرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلّـم؟

المبحـــث السابع: هل سُحِر سيدنا موسى عليه السلام؟

الخاتمـــــــــــة، وفيها نتائج البحث والتوصيات.

نسأل الله تعالى أن يتقبل هذا البحث، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الباحثين وطلاب العلم وغيرهم.





المبحث الأول

تعريف السحر لغة واصطلاحاً



السحر لغة:

يطلق السِّحْرُ في اللغة: على ما لَطُفَ مأخَذُهُ ودَقَّ(1).

ويطلق على الأُخذة التي تأخذ العين، حتى يظن أنَّ الأمر كما يرى، وليس الأصل على ما يرى(2).

قال في مختار الصحاح: «السِّحْرُ: الْأَخْذَةُ، وَكُلُّ مَا لَطُفَ مَأْخَذُهُ وَدَقَّ فَهُوَ سِحْرٌ. وَقَدْ سَحَرَهُ يَسْحَرُهُ - بِالْفَتْحِ -سِحْرًا- بِالْكَسْرِ-. وَالسَّاحِرُ: الْعَالِمُ. وَسَحَرَهُ أَيْضًا: خَدَعَهُ، وَكَذَا إِذَا عَلَّلَهُ؛ وَسَحَرَهُ تَسْحِيرًا مِثْلُهُ»اهـ(3).

وقال في المصباح المنير: «"السِّحْرُ" قال ابن فارس: هو إخراج الباطل في صورة الحق، ويُقال: هو الخديعة، وسَحَرَهُ بكلامه: استماله برقته وحسن تركيبه. وقال بعضهم: لما كان في البيان من إبداع التركيب وغرابة التأليف ما يجذب السامع ويخرجه إلى حد يكاد يشغله عن غيره، شُبِّه بالسحر الحقيقي، وقيل: هو السحر الحلال»اهـ(4).

ومتى أُطلق "السحر" ولم يُقَيَّد، أفاد ذمَّ فاعله؛ وقد يُستعمل مقيَّداً فيما يُمدح ويُحمد، فقد قال

---

(1)انظر: القاموس المحيط (ص٤٠٥).

(2) انظر: لسان العرب (ص٤٠٥).

(3)مختار الصحاح (ص١٤٣) مادة "سحر".

(4)المصباح المنير (ص٢٦٧-٢٦٨) مادة "سحر"، باختصار.



النبي صلى الله عليه وسلَّم: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا»[1]، فسمَّى النبي صلى الله عليه وسلَّم بعض البيان سحراً؛ لأن صاحبه يوضح الشيء المشكل، ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه وبليغ عبارته[2].

فإن قيل: كيف يجوز أن يُسَمَّى ما يوضِّح الحق وينبئ عنه: "سحراً"، وهذا القائل إنما قصد إظهار الخفي، لا إخفاء الظاهر، ولفظ "السحر" إنما يفيد إخفاء الظاهر؟



قلنا: إنما سمَّاه "سحراً" لوجهين:

الأول: أن ذلك القدر للطفه وحسنه، استمال القلوب، فأشبه السحر الذي يستميل القلوب، فمِن هذا الوجه سُمِّي سحراً، لا مِن الوجه الذي ظننت.

الثاني: أن المقتدر على البيان، يكون قادراً على تحسين ما يكون قبيحاً، وتقبيح ما يكون حسناً؛ فذلك يشبه السحر مِن هذا الوجه[3].

السحر اصطلاحاً:

اختلف العلماء في السحر، فذهب بعض العلماء إلا أنه أمْرٌ خارقٌ للعادة؛ وذهب أكثرهم إلى أنه عبارة عن تخييل وتمويه وخداع، وليس أمراً خارقاً للعادة[4].

قال الشيخ محمد السباعي (١٢٦٨هـ) عن القول بأنه خارق للعادة: «وهو قول ابن عرفة

---

(١)أخرجه البخاري في صحيحه عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، في كتاب النكاح، باب: الخطبة، برقم: (٥١٤٦).

(٢) انظر: التفسير الكبير للرازي (٣/ ٢٢٢).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٣/ ٢٢٢-٢٢٣).

(٤) انظر: التعريفات للجرجاني (ص١٢١)، وتحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب للكومي (ص٢٤١)، وحاشية السباعي على شرح الدردير على الخريدة البهية (ص١٢٤)

وصاحب المقاصد[1]، وهو ضعيف. وقال القرافي: "سبب غرابة السحر: الجهل بأسبابه"، وهو الحق؛ ومشى عليه الشيخ [السنوسي] في الكبرى، فإنه قال: "ومِن المعتاد: السحر ونحوه"»اهـ[2].



والصحيح من هذا الاختلاف: أنَّ السحر ليس خارقاً للعادة، بل هو خارقٌ باعتبار القوة الخالية وما يبدو في النظر، لا باعتبار نفس الأمر؛ قال تعالى: {يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى}[طه: ٦٦][3].

فعلى هذا الاختلاف المتقدم، اختلفت عبارات العلماء في تعريف للسحر، وبيان ذلك ما يلي:

قال الإمام سعد الدين التفتازاني (٧٩١هـ): «السحر: إظهار أمرٍ خارق للعادة، مِن نفْسٍ شريرة خبيثة، بمباشرة أعمال مخصوصة، يجري فيها التعلم والتتلمذ»اهـ[4].

وقال الشيخ ابن عرفة التونسي: «السحر: أمر خارق للعادة، مطردُ الارتباط بسببٍ خاص به»اهـ[5].

وقال فخرُ الدين الرازي: «السحر في عُرْف الشرع: مُخْتَصٌ بكل أَمْرٍ يَخفى سببُه، ويُتخيل على غير حقيقته، ويَجري مجرى التمويه والخداع»اهـ[6].

وقال الشيخ ابن حجر الهيتمي في تعريف السحر شرعاً: «يختص بكل أمرٍ يخفى سببه، وعملٍ

(١) يقصد به: الإمام سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني.

(٢) حاشية السباعي على شرح الدردير على الخريدة البهية (ص١٢٤)

(٣) انظر: تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب للكومي (ص٢٤١).

(٤) شرح المقاصد للتفتازاني (٥/ ٧٩).

(٥) المختصر الكلامي لابن عرفة (ص٩٧٤).

(٦) التفسير الكبير (٣/ ٢٢٢).





على غيرِ حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع»اهـ[١].

وقال الشريف الجرجاني (٨١٦هـ) في التعريفات: «هو تخييل وتمويه وإرادة لِمَا لا أصل له، كما ذهب إليه كثيرٌ من المتكلمين»اهـ[٢].

فالسحر -عند أكثر العلماء- أمرٌ غريب، يشبه خوارق العادات، وليس خارقاً للعادة؛ لأنه ينال بالتعلم والتتلمذ، ويستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان بارتكاب القبائح قولاً وعملاً؛ وهذا يحصل عادة إذا كان بين الساحر والشيطان تناسب في الشر وخبث النفس؛ فإن التناسب شرط التضامن والتعاون[٣].

تعريف الكاهن والعرَّاف:

الكاهن: هو الذي يُخبر عن بعض المضمرات، فيصيب بعضَها، ويخطئ أكثرها، ويزعم أن الجن تخبره بذلك؛ وفسَّر بعضهم "الكهانة" بما يرجع لذلك فقال: هي تعاطي الإخبار عن المغيبات في مستقبل الزمان، وادعاء علم الغيب، وزعم أن الجن تخبره بذلك. ومنهم مَن يُسمِّي "المنجم": كاهناً[٤].

والعَرَّاف: قيل: هو الكاهن. وقيل: هو الساحر. وقيل: هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات أسبابٍ يستدل بها على مواقعها، كالمسروق من الذي سرقه، ومعرفة مكان الضالة ونحو ذلك[٥].

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «و"الكهانة" -بفتح الكاف ويجوز كسرها- : ادعاء علم

(١) الزواجر للهيتمي (٢/ ٢١٨).

(٢) التعريفات للجرجاني (ص١٢١).

(٣) انظر: السديد في علم التوحيد لمحمود أبي دقيقة (٢/ ٢٢٢-٢٢٣)

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ١٩١-١٩٢)، والزواجر للهيتمي (٢/ ٢٣٥).

(٥) انظر: المرجعين السابقين.

الغيب، كالإخبار بما سيقع في الأرض، مع الاستناد إلى سببٍ؛ والأصل فيه استراق الجني السمع مِن كلام الملائكة، فيلقيه في أذن الكاهن.

و"الكاهن": لفظ يطلق على "العرَّاف"، والذي يضرب بالحصى، و"المنجم"، ويطلق على مَن يقوم بأمر آخر ويسعى في قضاء حوائجه.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

وقال في المحكم: "الكاهن": القاضي بالغيب.

وقال في الجامع: العرب تُسمِّي كل مَن أذن بشيء قبل وقوعه: "كاهناً".

وقال الخطابي: "الكهنة" قوم لهم أذهان حادة، ونفوس شريرة، وطباع نارية، فألفتهم الشياطين لِمَا بينهم مِن التناسب في هذه الأمور، ومساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه. وكانت "الكهانة" في الجاهلية فاشية، خصوصاً في العرب؛ لانقطاع النبوة فيهم»اهـ[1].

والكهانة على أصناف[2]:

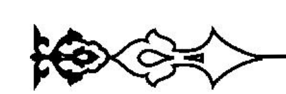
منها: ما يتلقونه مِن الجن، فإن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء، فيركب بعضهم بعضاً، إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام، فيلقيه إلى الذي يليه، إلى أن يتلقاه مَن يلقيه في أذن الكاهن، فيزيد فيه، فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حُرِسَت السماء مِن الشياطين، وأرسلت عليهم الشهب، فبقي مِن استراقهم ما يتخطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب.

ومنها: ما يخبر الجني به مَن يواليه بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه الإنسان غالباً، أو يطلع عليه مَن قرب منه، لا مَن بَعُدَ.

ومنها: ما يستند إلى ظنٍّ وتخمين وحدس، وهذا قد يجعل الله تعالى فيه لبعض الناس قوة مع

(١) فتح الباري (١٠/ ٢٢٧).

(٢) انظر: فتح الباري (١٠/ ٢٢٧).



كثرة الكذب فيه.

ومنها: ما يستند إلى التجربة والعادة، فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك.





المبحث الثاني

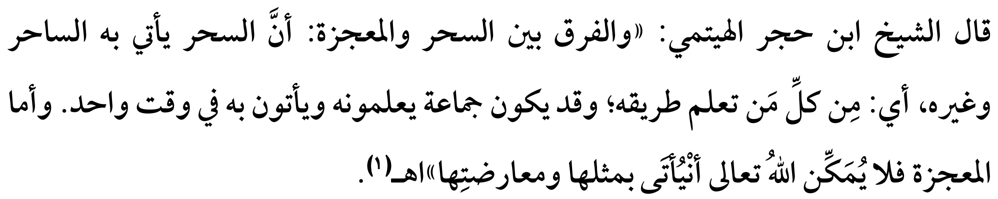
الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة



الفرق بين السحر والمعجزة:

يفرَّق بين السحر والمعجزة بأمور، وهي ما يلي:

١ - أنَّ المعجزة لا يمكن معارضتها، وأمَّا السحر فيمكن أن يأتي به الساحر وغيره:



قال الشيخ ابن حجر الهيتمي: «والفرق بين السحر والمعجزة: أنَّ السحر يأتي به الساحر وغيره، أي: مِن كلِّ مَن تعلم طريقه؛ وقد يكون جماعة يعلمونه ويأتون به في وقت واحد. وأما المعجزة فلا يُمَكِّن اللهُ تعالى أنْيُأتَى بمثلها ومعارضتِها»اهـ[1].

قال الإمام سعد الدين التفتازاني في الفرق بين السحر والمعجزة: «وبأنه قد يتصدَّى بمعارضته وببذل الجهد في الإتيان بمثله»اهـ[2].

٢ - أنَّ المعجزة مقرونة بالتحدي، بخلاف السحر:

والمراد من "التحدي": دعوى الرسالة[3].

وزمن التحدي: هو زمن النبوة برمَّته، فإنه في كل يومٍ حاله قائل: "أنا رسول الله"؛ فليس المراد: الزمنَ الملاصق لقوله: "أنا رسول الله"؛ وإلا لزم عدمُ القول بكثير من المعجزات، وهو كفرٌ[4].

---

(١) الزواجر (٢/ ٢٢٣).

(٢) شرح المقاصد (٥/ ٨٠).

(٣) انظر: شرح الخريدة البهية للدردير (ص١١٣).

(٤) انظر: حاشية السباعي على شرح الخريدة البهية (ص١٢٤).

قال الشيخ ابن حجر الهيتمي: «وكفى فارقاً بينهما[1]: أن المعجزة تكون مقرونة بالتحدي، بخلاف السحر»اهـ[2].

فلا يمكن ظهور السحر على يد مدعي نبوة كاذباً كما جرت به عادة الله عز وجل المستمرة؛ صوناً لهذا المنصب الجليل عن أن يتسور حِماه الكذابون؛ وقد أجمع المسلمون على أنه ليس في السحر ما يفعل الله تعالى عنده إنزال الجراد وغيره، فهذا ونحوه مما يجب القطع بأنه لا يكون ولا يفعله الله جل جلاله عند إرادة الساحر[3].

قال الإمام أبو بكر الباقلاني (٤٠٣هـ) : «وأمَّا ما يختص به الرسول -صلى الله عليه- مما يوجب إظهار المعجزات على يديه: فهو ادعاؤه الرسالة على الله تعالى، وكونه مخبراً عنه وعن وحيه إليه وسفيراً بينه وبين خلقه؛ هذا فقط هو الذي يقتضي ظهور الآيات على يديه، دون سائر صفاته»اهـ[4].

٣- أنَّ المعجزة خارِقةٌ للعادة، بخلاف السحر:

فالسحر -كما تقدم- لا يكون خارقاً للعادة؛ بخلاف المعجزة فإنها خارقة للعادة؛ لأن السحر يكون بترتيب مسبباتٍ على أسبابها، غير أنَّ تلك الأسباب لم تحصل لكثير من الناس، بل للقليل منهم، فإذا حصلت على أيدي بعض الناس، كانت غريبة في نظر مَن لم يعرف تلك الأسباب؛ وفي الواقع هي جارية على أسبابها العادية، غير أنَّ العارف بتلك الأسباب قليل[5].

فالسحر يكون بمباشرة أعمال مخصوصة، يجري فيها التعلم والتتلمذ، ويختص ببعض الأزمنة

---

(١) أي: المعجزة والسحر.

(٢) الزواجر (٢/ ٢٢٤).

(٣) انظر: الزواجر (٢/ ٢٢٤).

(٤) انظر: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات (ص٣٧).

(٥) انظر: القول السديد (٢/ ٢٢٣).

أو الأمكنة أو الشرائط؛ بخلاف المعجزة[1].

٤ -قرائن الأحوال الموجودة في حق الأنبياء -عليهم السلام-، المفقودة في حق غيرهم:

فإنك تجد النبي صلى الله عليه وسلّـم أفضل الناس نشأة ومولداً وشرفاً وخُلُقاً وصدقاً وأدباً وأمانة وزهداً، وبعداً عند الدناءة والكذب والتمويه[2].

قال الإمام سعد الدين التفتازاني عن السحر: «وبأن صاحبه ربما يعلن بالفسق ويتصف بالرجس في الظاهر والباطن، والخزي في الدنيا والآخرة»اهـ[3].

الفرق بين السحر والكرامة:

يفرَّق بين السحر والكرامة: أن الكرامة تجري على يد مَن جاهد في الله حق جهاده، حتى هداه للحق، فامتثل أوامر شرعه ودينه، وانتهى عن كل منكر؛ وأما السحر فإنه يجري على يد مَن علم أسبابه الخفية بواسطة تعليمات شيطانية، يكون مباشرتها معصية تارة، وكفراً أخرى[4].

ويفرق بينهما أيضاً: أنَّ الكرامة تكون خارِقة للعادة، بخلاف السحر فإنه لا يكون خارقاً للعادة[5]، وقد تقدم بيان ذلك.

وأما الفرق بين المعجزة والكرامة: أن الكرامة -وإن كانت أمراً خارقاً للعادة- فإنها لا تكون مقارنة لدعوى النبوة[6].

قال الإمام أبو العباس القسطلاني (٩٢٣هـ) في التفريق بين السحر والكرامة والمعجزة:

---

(١) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني (٥/ ٧٩).

(٢) انظر: القول السديد (٢/ ٢٢٣).

(٣) شرح المقاصد (٥/ ٨٠).

(٤) انظر: القول السديد (٢/ ٢٢٤).

(٥) انظر: شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى للسنوسي (ص٢٤٠).

(٦) انظر: شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى للسنوسي (ص٢٤٠).



«"السحر": يكون بمعاناة أحوال وأفعال، حتى يتم للساحر ما يريد. و"الكرامة": لا تحتاج إلى ذلك بل إنما تقع غالبًا اتفاقًا. وأما "المعجزة": فتمتاز عن الكرامة بالتحدي»اهـ(١).



(١) إرشاد الساري للقسطلاني (٨/ ٤٠١).





المبحث الثالث

هل للسحر حقيقة؟



أثبت جماهير العلماء وجود السحر؛ لثبوته في كتاب الله تعالى وسنةِ نبيه صلى الله عليه وسلّم، وخالف في ذلك فئة قليلة كابرت في إثباته[1].

واختلف المثبتون للسحر، هل له حقيقة أم لا؟ على قولين:

القول الأول: إنه تخييل لا حقيقة له؛ لقوله تعالى: {قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى}[طه: ٦٥-٦٦][2].

وهذا اختيار الفقيه الشافعي أبي جعفر الإستربادي (٣٧٠هـ)، والفقيه الحنفي أبي بكر الرازي الجصاص (٣٧٠هـ)، وابن حزم الظاهري (٤٥٦هـ)، وطائفة[3].

قال الشريف الجرجاني: «السحر: هو تخييل وتمويه وإرادة لِمَا لا أصل له، كما ذهب إليه كثيرٌ من المتكلمين»اهـ[4].

القول الثاني: إنَّ له حقيقةً؛ وهو الذي عليه جمهور العلماء [5].

وذكر الشيخ ابن حجر الهيتمي أن القول: بأن للسحر حقيقة، هو الذي عليه الأكثرون، وأنه

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٢/ ٢٣٣).

(٢) انظر: الزواجر لابن حجر الهيتمي (٢/ ٢١٩).

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٢/ ٢٣٣).

(٤) التعريفات للجرجاني (ص١٢١).

(٥) انظر: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات للباقلاني (ص٧٧)، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني (٢/ ٢٣٣).



الأصح؛ واستدلوا على ذلك: بحديث سحر لبيد بن الأعصم اليهودي للنبي صلى الله عليه وسلَّم -الآتي ذكره-[1].

وأجاب الفريق الثاني عمّا استدل به الفريق الأول: بأننا لا نمنع أنَّ مِن السحر: ما هو تخييل، بل منه ذلك، ومنه ما له حقيقة[2].



فليس السحر منحصراً بالأعمال التي فيها تخييل وتمويه للمسحور، بل لا يوجد دليل شرعي على الحصر بذلك، بل السحر أنواع وأشكال، ففيه ما هو من قبيل التخييل، وفيه ما هو أكثر مِن ذلك.

وذكر الشيخ سعد الدين التفتازاني أنَّ قول الله تبارك وتعالى: {فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} [البقرة: ١٠٢]، يُشعر بأنَّ السحر ثابتٌ حقيقة، وأنه ليس مجردَ إراءة وتمويه، مع التنبيه على أن المؤثر والخالق لما يفعله الساحرُ هو الله وحده، وليس الساحر [3].

ثم قال السعد التفتازاني: «فإن قيل: لو صح السحر؛ لأضرت السحرة بجميع الأنبياء والصالحين؛ ولحصلوا لأنفسهم الملك العظيم وكيف يصح أن يسحر النبي صلى الله عليه وسلّم، وقد قال الله تعالى {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة: ٦٧]، {وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى}[طه: ٦٩]. وكان الكفرة يعيبون النبي صلى الله عليه وسلّم بأنه مسحور، مع القطع بأنهم كاذبون؟

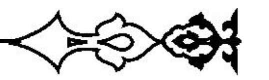
قلنا: ليس الساحر يوجد في كل عصر وزمان، وبكل قُطْر ومكان، ولا ينفذ حكمه كل أوان،

---

(١) انظر: الزواجر (٢/ ٢١٩).

(٢) انظر: الزواجر (٢/ ٢١٩).

(٣) شرح المقاصد للتفتازاني (٥/ ٨٠).





ولا له يد في كل شان. والنبي معصوم مِن أن يهلكه الناس، أو يوقع خللاً في نبوته، لا أن يوصل ضرراً وألماً إلى بدنه. ومراد الكفار بكونه مسحوراً: أنه مجنون أزيل عقله بالسحر، حيث ترك دينهم.



فإن قيل: قوله تعالى في قصة موسى صلى الله عليه وسلّـم: {يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} [طه:٦٦]، يدل على أنه لا حقيقة للسحر، وإنما هو تخييل وتمويه؟

قلنا: يجوز أن يكون سحرهم: هو إيقاع ذلك التخييل، وقد تحقق، ولو سلم فيكون أثره في تلك الصورة: هو التخييل، لا يدل على أنه لا حقيقة له أصلاً»اهـ[١].

قال الإمام القسطلاني عن السحر: «واختلف هل له حقيقة أم لا؟ والصحيح -وهو الذي عليه الجمهور-: أن له حقيقة. وعلى هذا فهل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعًا من الأمراض، أو ينتهي إلى الإحالة بحيث يصير الجماد حيوانًا مثلاً وعكسه؟ فالذي عليه الجمهور: هو الأول»اهـ[٢].

وتجدر الإشارة إلى أن معنى الإذن في قوله تعالى: {إلا بإذن الله} لم يرد ها هنا الأمر بذلك والإطلاق له؛ لأن فعله محظور بإجماع الأمة، وإنما أراد بقوله تعالى: {إلا بإذن الله}: بحكمه وقضائه وما يفعله هو -جل ذكره- عند كلام الساحر وبخوره وكفره بما يتعلمه ويقوله[٣].

والحاصل: أن جماهير العلماء مثبتون للسحر، إلا فئة قليلة كابرت في ذلك. وأن المثبتون له اختلفوا في أن السحر هل يقع به انقلاب عين أو لا؟ فمن قال: "إنه تخييل فقط" منع ذلك. ومن قال: "إن له حقيقة" اختلفوا في ذلك: فالجمهور على أن له تأثيراً فقط، بحيث يغير

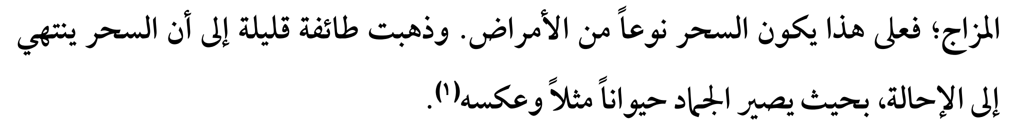
(١) شرح المقاصد للتفتازاني (٥/ ٨٠-٨١).

(٢) إرشاد الساري للقسطلاني (٨/ ٤٠١).

(٣) انظر: البيان للباقلاني (ص٧٩-٨٠).







المزاج؛ فعلى هذا يكون السحر نوعاً من الأمراض. وذهبت طائفة قليلة إلى أن السحر ينتهي إلى الإحالة، بحيث يصير الجماد حيواناً مثلاً وعكسه[1].

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني بعد ذكر المذهب الأخير: «فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية، فمُسَلَّم؛ وإن كان بالنظر إلى الواقع، فهو محل الخلاف، فإن كثيراً مِمَّن يدعي ذلك لا يستطيع إقامة البرهان عليه»اهـ[2].



ووافق الإمام الرازي المذهب الأخير حيث قال في تفسيره: «وأما أهل السنة فقد جوَّزوا أن يقدر الساحر على أن يطير في الهواء ويقلب الإنسان حماراً والحمار إنساناً، إلا أنهم قالوا: إن الله تعالى هو الخالق لهذه الأشياء عندما يقرأ الساحر رقى مخصوصة وكلمات معينة؛ فأما أن يكون المؤثر في ذلك الفلك والنجوم، فلا»اهـ[3].

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٢/ ٢٣٣).

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٢/ ٢٣٣).

(٣) التفسير الكبير للرازي (٣/ ٢٣٠).



المبحث الرابع

هل يكفر الساحر؟ وهل يكفر مَن أتاه؟



من القضايا العقدية الهامة المتعلقة بالسحر: حكم الساحر من حيث الكفر وعدمه، وحكم مَن أتى الساحر مِن حيث الكفر وعدمه أيضاً، فهل هما يكفران مطلقاً بسبب ذلك؟ أم في المسألة تفصيل؟

وسبب إثارة هذه القضية: ما جاء في الكتاب والسنة من نصوصٍ ناهية عن السحر وعن إتيان الساحر والكاهن، ومن ذلك:

١-قول الله تعالى: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} [البقرة: ١٠٢].

٢-قول النبي صلى الله عليه وسلَّم: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شيء، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»(١).

٣-قول النبي صلى الله عليه وسلَّم: «مَنْ أَتَى حَائِضًا، أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى محمد»(٢).

٤-ما رواه سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنه، أنه رأى رَجُلًا في عَضُدِهِ حَلْقَةً مِنَ صُفَر،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلَّم، في كتاب السلام، باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان، برقم: (٢٢٣٠).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الطب، باب في الكاهن، برقم: (٣٩٠٤)، والترمذي في سننه، في أبواب الطهارة، باب: كراهية إتيان الحائض، برقم: (١٣٥)، والنسائي في سننه الكبرى، في كتاب عشرة النساء، في ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر أبي هريرة في ذلك، برقم: (٨٩٦٨)، وابن ماجه في سننه، فيكتاب الطهارة وسننها، باب: النهي عن إتيان الحائض، برقم: (٦٣٩). كلهم عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.



فقال له: ما هذه؟ قال: نُعِتَتْ لي مِن الوَاهِنَة قال: أَمَا إِنْ مُتَّ وهي عليك، وُكِلْتَ إليها، قال رسول الله صلى الله عَليه وسلَّـم: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ وَلَا تُطُيِّرَ لَهُ، وَلَا تَكَهَّنَ وَلَا تُكُهِّنَ لَهُ»، أظنه قال: «أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ»(١).



حكم الساحر من حيث الإيمان والكفر:

إنَّ عمل وفِعْلَ السحر حرام، وهو من كبائر الذنوب بالإجماع، وهو مِن السبع الموبقات المهلكات(٢).

ومن اعتقد إباحة السحر، فهو كافر(٣).

وحكم الساحر مِن حيث الإيمان والكفر، يرجع للسحر نفسه؛ لأن السحر قد يكون كفراً، وقد لا يكون كفراً بل كبيرة من الكبائر كما تقدم(٤).

وظاهر كلام المتكلّمين أنَّ التكفير بسبب السحر إنّما هو بأحد ثلاثة أمور:

١ - بقول كلمة الكفر.

٢ - بالسجود لصنم.

٣- بالفعل كلبس الزّنار ونحوه(٥).

فإذا قال إنسان: "تعلمت السحر أو أحسنه" استوصف؛ فإن وصفه بما هو كفر، فهو كافر؛ بأن يعتقد التقرب إلى الكواكب السبعة. ولو قال: "أفعل بالسحر بقدرتي دون قدرة الله

---

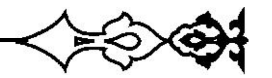
(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنه، برقم: (٣٥٥).

(٢)انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٥/ ٣٤٧).

(٣)انظر: روضة الطالبين للنووي (٩/ ٣٤٤).

(٤)انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٥/ ٣٤٧).

(٥) انظر: تفسير ابن عرفة (١/ ٣٨٥).





تعالى" فهو كافر، وإن وصفه بما ليس بكفر فليس بكافر[1].

قال الإمام النووي عن حكم عمل السحر: «فإن كان فيه قولٌ أو فِعْلٌ يقتضي الكفرَ، كفر، وإلا فلا. وأما تعلمه وتعليمه، فحرام؛ فإن تضمن ما يقتضي الكفر، كفر، وإلا فلا. وإذا لم يكن فيه ما يقتضي الكفر، عُزِّر، واستتيب منه، ولا يقتل عندنا، فإن تاب قبلت توبته. وقال مالك: الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب ولا تقبل توبته بل يتحتم قتله. والمسألة مبنية على الخلاف في قبول توبة الزنديق؛ لأن الساحر عنده كافر كما ذكرنا، وعندنا ليس بكافر، وعندنا تقبل توبة المنافق والزنديق. قال القاضي عياض: وبقول مالك قال أحمد بن حنبل، وهو مروي عن جماعة من الصحابة والتابعين»اهـ[2].



فالعلماء إذن مختلفون في كفر الساحر؛ وليس هذا الكلام على إطلاقه؛ لأن السحر مراتب، منها ما هي كفر بالاتفاق، ومنها ما هي محل خلاف بين العلماء، فقال بعضهم: إن السحر كفر مطلقاً، وقال الآخر: إن السحر ليس كفر، بل هو معصية. ومما يقع به التكفير: أن يعتقد الساحر أن الكواكب مؤثرة لهذا العالم، أو أن الإنسان يصل بالتصفية إلى أن تصير نفسه مؤثرة في إيجاد جسم أو حياة أو تغيير شكل؛ ونحو ذلك؛ وسيأتي توضيح مراتب السحر قريباً[3].

وقد احتج القائلون بأن السحر كفرٌ مطلقاً: بأن اليهود لَمَّا أضافوا السحر إلى سيدنا سليمان عليه السلام، قال الله تعالى تنزيهاً له عنه: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ}[البقرة: ١٠٢]، وهذا يدل على أن السحر كفر على الإطلاق، وقال أيضاً: {وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ}[البقرة: ١٠٢]، وهذا أيضاً يقتضي أن يكون السحر على الإطلاق كفراً؛ واحتجوا

(١)انظر: روضة الطالبين للنووي (٩/ ٣٤٤).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٥/ ٣٤٧).

(٣) انظر: الزواجر للهيتمي (٢/ ٢٢٤-٢٢٥).





أيضاً: بأن الله تعالى قد حكى عن المَلَكَيْن أنهما لا يعلمان أحداً السحر حتى يقولا: {إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ}[البقرة: ١٠٢]، وهو يدل على أن السحرَ كفرٌ على الإطلاق(١).

وأجيب عنهم: بأن حكاية الحال يكفي في صدقها صورة واحدة، فتحملها على سحر مَن يعتقد إلهية النجوم (٢).

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

وذكر فخر الدين الرازي أنَّ المحققين قد اتفقوا على أن العلم بالسحر غير قبيح ولا محظور؛ لأن العلم لذاته شريف؛ ولعموم قوله تعالى: {هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر: ٩]؛ ولأن السحر لو لم يكن يُعلم، لَمَا أمكن الفرق بينه وبين المعجز، والعلم بكون المعجز معجزاً، واجب، وما يتوقف الواجب عليه، فهو واجب؛ فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجباً؛ وما يكون واجباً، كيف يكون حراماً وقبيحاً(٣).

ولا يعني هذا أنَّه لا يكفر الساحر، بل عنده تفصيل سيأتي قريباً.

وذكر الشيخ ابن حجر الهيتمي أنه نُقِلَ عن بعضهم: وجوب تعلم السحر على المفتي حتى يعلم ما يقتل منه وما لا يقتل، فيفتي به في وجوب القصاص (٤).

وناقش الشيخ ابن حجر الهيتمي كلام الفخر الرازي السابق وما نُقِلَ عن بعضهم قائلاً: «وما قاله (٥) فيه نظر، وبتسليمه فهو لا ينافي مِن أنَّ تعلمه وتعليمه كبيرتان؛ لأن الكلام ليس فيهما، وإنما هو في شخص تعلَّمه جاهلاً بحرمته، أو تعلَّمه عالماً بها ثم تاب، فما عنده الآن مِن علم السحر -الذي لا كفر فيه- هل هو قبيح في ذاته؟ وظاهر أنه ليس قبيحاً لذاته، وإنما قبحه لِمَا

(١) انظر: التفسير الكبير للرازي (٣/ ٢٣٢).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٣/ ٢٣٢).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٣/ ٢٣١-٢٣٢).

(٤) انظر: الزواجر للهيتمي (٢/ ٢٢٣).

(٥) أي: الفخر الرازي .



يترتب عليه. وما نقل عن بعضهم غير صحيح؛ لأن إفتاءه بوجوب القَوَد أو عدمه لا يستلزم معرفته علم السحر؛ لأن صورة إفتائه إن شهد عدلان عَرَفاْ السحر وتابا منه أنه يُقتل غالباً، قتل الساحر، وإلا فلا. وكذا العلم بالمعجزة لا يتوقف على العلم بالسحر؛ لأن أكثر العلماء أو كلهم إلا النادر عَرَفوا الفرق بينهما ولم يعرفوا علم السحر، وكفى فارقاً بينهما: أن المعجزة تكون مقرونة بالتحدي، بخلاف السحر، فبطل قول الفخر: لَمَا أمكن الفرق إلخ»اهـ[١].



وأمَّا رأي فخر الدين الرازي في الساحر هل يكفر أم لا، فقد ذكر أنه لا نزاع بين الأمة في أنَّ مَن اعتقد أن الكواكب هي المدبرة لهذا العالم وهي الخالقة لِمَا فيه مِن الحوادث والخيرات والشرور، فإنه يكون كافراً على الإطلاق من غير تفصيل، وهذا هو النوع الأول من السحر [٢].

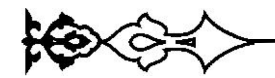
وذكر الفخر أن النوع الثاني للسحر: أن يعتقد أنه قد يبلغ روح الإنسان في التصفية والقوة إلى حيث يقدر بها على إيجاد الأجسام والحياة والقدرة وتغيير البنية والشكل، وذكر أنَّ الأظهر إجماع الأمة أيضاً على تكفيره[٣].

وأما النوع الثالث عنده: فهو أن يعتقد الساحر أنه قد يبلغ في التصفية وقراءة الرقى وتدخين بعض الأدوية إلى حيث يخلق الله تعالى عقيب أفعاله -على سبيل العادة- الأجسام والحياة والعقل وتغيير البنية والشكل، فذكر الفخر الرازي أنَّ المعتزلة قد اتفقوا على تكفير مَن يُجَوِّز ذلك، وقالوا: لأنه مع هذا الاعتقاد لا يمكنه أنْ يعرف صدق الأنبياء والرسل؛ وردَّ عليهم: بأنه ركيكٌ مِن القول، فإنَّ لقائلٍ أنْ يقول: إن الإنسان لو ادعى النبوة -وكان كاذباً في دعواه- ، فإنه لا يجوز مِن الله تعالى إظهار هذه الأشياء على يده؛ لئلا يحصل التلبيس؛ أما إذا لم يدَّعِ النبوة -وأظهر هذه الأشياء على يده-، لم يفض ذلك إلى التلبيس، فإنَّ المحق يتميَّز عن المبطل

(١) الزواجر (٢/ ٢٢٣-٢٢٤).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٣/ ٢٣١).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٣/ ٢٣١).





بما أن المحق تحصل له هذه الأشياء مع ادِّعاء النبوة والمبطل لا تحصل له هذه الأشياء مع ادِّعاء النبوة[1].

ثم قال فخر الدين الرازي: «أما سائر الأنواع التي عددناها من السحر، فلا شك أنه ليس بكفر»[2].



والأنواع الأخرى التي ذكرها الفخر على النحو التالي[3]:

١ - التخيلات والأخذ بالعيون.

٢-الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية تارة وعلى ضروب الخيلاء أخرى.

٣-الاستعانة بخواص الأدوية، مثل أن يجعل في طعامه بعض الأدوية المبلدة المزيلة للعقل والدخن المسكرة.

٤-تعليق القلب، وهو أن يدعي الساحر أنه قد عرف الاسم الأعظم، وأن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور، فإذا اتفق أن كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز، اعتقد أنه حق، وتعلق قلبه بذلك، وحصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة، وإذا حصل الخوف، ضعفت القوى الحساسة، فحينئذ يتمكن الساحر من أن يفعل حينئذ ما يشاء.

٥-السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفيفة لطيفة.

قال الشيخ ابن حجر الهيتمي: «واختلف العلماء في الساحر هل يكفر أو لا؟ وليس من محل الخلاف النوعان الأولان مِن أنواع السحر السابقة؛ إذ لا نزاع في كفر مَن اعتقد أن الكواكب

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٣/ ٢٣٢).

(٢)التفسير الكبير (٣/ ٢٣١-٢٣٢).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٣/ ٢٣١-٢٢٨-٢٣٠).



مؤثرة لهذا العالم، أو أن الإنسان يصل بالتصفية إلى أن تصير نفسه مؤثرة في إيجاد جسم أو حياة أو تغيير شكل.

وأما النوع الثالث -وهو أن يعتقد الساحر أنه بلغ في التصفية وقراءة الرقى وتدخين بعض الأدوية إلى أن الجن تطيعه في تغيير البنية والشكل-، فالمعتزلة يقرونه دون غيرهم.

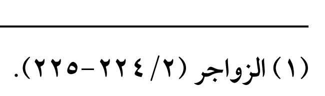
وأما بقية أنواعه: فقال جماعة: إنها كفر مطلقاً؛ لأن اليهود لَمَّا أضافوا السحر لسليمان صلى الله على نبينا وعليه وسلَّـم، قال تعالى تنزيهاً له عنه: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} [البقرة: ١٠٢]، فظاهر هذا أنهم إنما كفروا بتعليمهم السحر؛ لأن ترتيب الحكم على الوصف المناسب يشعر بعِلِّيَّته، وتعليم ما لا يكون كفراً، لا يوجب الكفر. وهذا يقتضي أن السحر على الإطلاق كفر، وكذا يقتضي ذلك: قوله تعالى عن المَلَكَيْن: {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ} [البقرة: ١٠٢].

وأجاب القائلون بعدم الكفر كالشافعي رضي الله عنه وأصحابه: بأن حكاية الحال يكفي في صدقها صورة واحدة، فيحمل على سحر مَن اعتقد إلهية النجوم. وأيضاً فلا نسلم أن ذلك فيه ترتيب حكمٍ على وصفٍ يقتضي إشعاره بالعلية؛ لأن المعنى: أنهم كفروا وهم مع ذلك يعلمون السحر»اهـ(١).

وقد اختلفوا في قبول توبة الساحر:

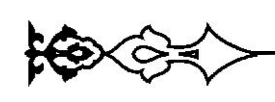
فأما النوعان الأولان فمعتقد أحدهما مرتد، فإن تاب فذاك، وإلا قتل. وقال الإمام مالك والإمام أبو حنيفة رضي الله عنهما: "لا تقبل توبتهما"(٢).

وأما النوع الثالث وما بعده: فإن اعتقد أن فعله مباح، قتل لكفره؛ لأن تحليل المحرم المجمع



(١) الزواجر (٢/ ٢٢٤-٢٢٥).

(٢) انظر: الزواجر (٢/ ٢٢٥).





على تحريمه المعلوم من الدين بالضرورة كفر. وإن اعتقد أنه حرام؛ فعند الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه جناية، فإذا فعله بالغير وأقر أنه يقتل غالباً، قتل به؛ لأنه عمد. أو نادر فهو شِبْهُ عمد. أو أخطأ مِن اسم غيره إليه فهو خطأ. وعن أبي حنيفة: أن الساحر يقتل مطلقاً إذا علم أنه ساحر بإقراره أو ببيِّنة تشهد عليه بأنه ساحر ويصفونه بصفة تعلم أنه ساحر، ولا يقبل قوله: "أترك السحر، وأتوب عنه"؛ فإن أقر بأني كنت أسحر مدة وقد تركت ذلك منذ زمان، قُبِل منه ولم يقتل [(١)].



حكم مَن أتى الساحر أو الكاهن أو العرَّاف:

تقدم في المبحث الأول تعريف الساحر أو الكاهن أو العرَّاف.

وقد وردت أحاديث تنهى عن إتيان الساحر أو الكاهن أو العرَّاف مطلقاً من غير تقييدٍ بتصديقهم، وهناك أحاديث نسبت الكفر لمن صدقهم؛ ومن ذلك: قول النبي صلى الله عليه وسلَّم: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شيء، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[(٢)]، وقوله صلى الله عليه وسلَّم: «مَنْ أَتَى حَائِضًا، أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى محمد»[(٣)].

واختلاف الوعيدين -أي: الكفر وعدم قبول الصلاة- الواردين في الأحاديث الشريفة، باختلاف حاليْ مَن أتى الكاهن أو العرَّاف ونحوهما، فمَن أتى كاهناً أو عرَّافاً وصدَّقهما في قولهما، كفر والعياذ بالله تعالى؛ لإشراكه الغير مع الله تعالى في علم الغيب الذي استأثر به الله تبارك وتعالى؛ ومَن أتاهما لمجرد السؤال ولم يُصدِّقهما، لم يكفر، بل يُحرم مِن ثواب صلاته

(١) انظر: السابق.

(٢) سبق تخريجه من قبل.

(٣) تقدم تخريجه.

أربعين يوماً؛ زجراً له عما فعل [1].

وإنما نهت الشريعة المطهرة عن إتيان الكهان ونحوهم؛ لأنهم يتكلمون في مغيباتٍ، قد يصادف بعضها الإصابة، فيخاف الفتنة على الإنسان بسبب ذلك؛ لأنهم يلبسون على الناس كثيراً مِن أمر الشرائع [2].



قال العلامة عبد الرؤوف المناوي (١٠٣١هـ): «وأفاد بقوله: "فصدقه": أن الغرض إنْ سأله معتقداً صدقه، فلو فعله استهزاء معتقداً كذبه، فلا يلحقه الوعيد. ثم إنه لا تعارض بين ذا الخبر وما قبله؛ لأن المراد: إن مصدق الكاهن إن اعتقد أنه يعلم الغيب، كفر، وإن اعتقد أن الجن تلقي إليه ما سمعته مِن الملائكة وأنه بإلهام فصدقه مِن هذه الجهة، لا يكفر»اهـ[3].

(١) انظر: فتح الباري (١٠/ ٢٢٨)، والموسوعة الفقهية الكويتية (٣٠/ ٣٤).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ١٩١).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٦/ ٢٣).



المبحث الخامس

قصة هاروت وماروت

من القضايا المتعلقة بالسحر: ما ورد مِن قصة هاروت وماروت؛ فإنَّ مَن أثبت أنهما مَلَكَيْن من الملائكة عليهم السلام، ناقش ما ذكره المفسرون وغيرهم من قصةٍ لا تتناسب مع عصمتهم عليهم السلام، وَوَجَّه الآية الكريمة التي ذَكَرَتْ قصتهما بتوجيه يتناسب مع ما ذكرنا.

وسنناقش هذه القصة من خلال النقاط التالية :

١ . هل الملائكة معصومون؟

٢ . هل ثبت في الحديث النبوي الشريف شيءٌ عن قصتهما، كما ثبت ذلك في القرآن الكريم؟

٣. ما المحمل الصحيح الذي حمل العلماء الآية عليه[1]، الذي يتناسب مع عصمة الملائكة عليهم السلام؟

عصمة الملائكة:

أجمع المسلمون على أن الملائكة -عليهم السلام- مؤمنون فضلاء؛ واتفق أئمة المسلمين على أن حكمَ المرسلين من الملائكة، حكمُ النبيِّين في العصمة، وأنهم في درجات الأنبياء، وحقوقهم، والتبليغ إليهم للأنبياء كالأنبياء مع الأمم[2].

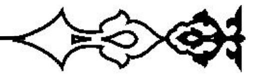
واختلفوا في غير المرسلين من الملائكة [3]:

فذهبت طائفة: إلى عصمة جميعهم عن المعاصي، واحتجوا بقوله تعالى: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا

(١) وهي قوله تعالى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ} الآية، وسيأتي ذكرها قريباً إن شاء الله.

(٢) انظر: الشفا للقاضي عياض (ص٧٠٩).

(٣) انظر: الشفا (ص٧١٠).



أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}[التحريم: ٦]، وبقوله: {وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ}[الصافات: ١٦٤-١٦٦]، وبقوله: {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ}[الأنبياء: ١٩-٢٠]، وبقوله: {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ}[الأعراف: ٢٠٦]، وبقوله: {كِرَامٍ بَرَرَةٍ}[عبس: ١٦]، وبقوله: {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}[الواقعة: ٧٩]، ونحوه من الآيات.

وذهبت طائفة: إلى أن هذا مخصوص للمرسلين منهم والمقربين، واحتجوا بأشياء ذكرها أهل الأخبار والتفاسير، كقصة هاروت وماروت.

قال القاضي عياض: «والصواب: عصمة جميعهم، وتنزيه جنابهم الرفيع عن جميع ما يحط مِن رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم»اهـ(١).

ما ورد في قصة هاروت وماروت:

وردت قصة هاروت وماروت في القرآن الكريم مجملة من غير بسط ولا إطناب فيها(٢).

قال الله تعالى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}[البقرة: ١٠٢].

وأمّا في السنة، فقد اختلف العلماء في ثبوتها فيها:

---

(١) الشفا للقاضي عياض (ص٧١٠).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٩٨).

فذهب الشيخ ابن حجر الهيتمي إلى إثبات ما تداوله بعض المفسرين مِن قصةٍ لهاروت وماروت، ذاكراً ثبوت ذلك في السنة أيضاً، قال رحمه الله:

«واعلم أن المفسرين ذكروا لهذين المَلَكَيْن قصة عظيمة طويلة، حاصلها: أن الملائكة لمَّا اعترضوا بقولهم: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ}[البقرة: ٣٠]، ومدحوا أنفسهم بقولهم: {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ}[البقرة: ٣٠]، أراهم الله تعالى ما يدفع دعواهم؛ فركَّب في هاروت وماروت منهم شهوة، وأنزلهما حاكمين في الأرض، فافتتنا بالزهرة، مثلت لهما مِن أجمل النساء، فلما وقعا بها، خيّرا بين عذابي الدنيا والآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، فهما يعذَّبان إلى يوم القيامة.

ونازع جماعة في أصل ثبوت هذه القصة، وليس كما زعموا؛ لورود الحديث بل صحته بها؛ ومن جملته: أنها لمَّا مثلت لهما، وراوداها عن نفسها، أمرتهما بالشرك فامتنعا، ثم بالقتل فامتنعا، ثم بشرب الخمر فشرباها، ثم وقعا بها وقتلا، ثم أخبرتهما بما فعلاه، فخيّرا كما ذكر. ومن المنازعين: الفخر، قال: هذه القصة رواية فاسدة مردودة ليس في كتاب الله ما يدل عليها، بل فيه ما يبطلها من وجوه...»اهـ[1].

وذهب أكثر العلماء إلى خلاف ما ذهب إليه الشيخ ابن حجر الهيتمي ومَن وافقه؛ فذكروا أنَّ هذه القصة باطلة لا تصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، وأنها من الإسرائيليات التي يجب رده.

قال القاضي عياض عن الأخبار الواردة في قصة هاروت وماروت: «فاعلم -وفَّقك الله- أن هذه الأخبار لم يُرْوَ منها شيءٌ لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، وليس هو في شيءٍ يُؤْخَذ بقياسٍ. والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه، وأنكر بعضُهم قولَ

---

(١) الزواجر (٢/ ٢٢٨) باختصار.

بعضٍ، وأنكر أيضاً ما قال بعضُهم فيه كثيرٌ مِن السلف. وهذه الأخبار مِن كتب اليهود وافترائهم، كما نصَّه الله تعالى أول الآيات مِن افترائهم بذلك على سليمان -عليه السلام- وتكفيرهم إياه. وقد انطوت القصة على شنع عظيمة»اهـ[1].

وقال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ): «ولأهل القصص هنا قصة خرافية من موضوعات اليهود في خرافاتهم الحديثة، اعتاد بعض المفسرين ذكرها، منهم: ابن عطية والبيضاوي، وأشار المحققون مثل البيضاوي والفخر وابن كثير والقرطبي وابن عرفة إلى كذبها، وأنها مِن مرويات كعب الأحبار.

وقد وهم فيها بعض المتساهلين في الحديث فنسبوا روايتها عن النبي صلى الله عليه وسلَّم أو عن بعض الصحابة بأسانيد واهية، والعجب للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى كيف أخرجها مسندة للنبي صلى الله عليه وسلَّم، ولعلها مدسوسة على الإمام أحمد، أو أنه غرَّه فيها ظاهر حال رواتها، مع أن فيهم موسى بن جبير، وهو متكلم فيه؛ واعتذر عبد الحكيم: بأن الرواية صحيحة، إلا أن المروي راجع إلى أخبار اليهود، فهو باطل في نفسه، ورواته صادقون فيما رووا، وهذا عذر قبيح؛ لأن الرواية أسندت إلى النبي صلى الله عليه وسلَّم.

قال ابن عرفة في تفسيره: «وقد كان الشيوخ يخطئون ابن عطية في هذا الموضع؛ لأجل ذكره القصة. ونقل بعضهم عن القرافي: أن مالكاً رحمه الله أنكر ذلك في حق هاروت وماروت»اهـ[2].

والذي نعتقده: بطلان قصة هاروت وماروت بالتفصيل السابق المذكور، وأنَّ مثل هذا لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم؛ وأنَّ السند لو صحَّ فإنه من كلام سيدنا كعب

---

(١) الشفا للقاضي عياض (ص٧١١) باختصار.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١/ ٦٤٢).



الأحبار عن كتب بني إسرائيل[1].

قال الحافظ ابن كثير (٧٧٤هـ): «وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين: كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية والزهري والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل؛ إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى»اهـ[2].



وقال الإمام القرطبي بعد أن ذكر الآثار الواردة في قصة هاروت وماروت: «هذا كله ضعيف وبعيد عن ابن عمر وغيره، لا يصح منه شيء؛ فإنه قول تدفعه الأصول في الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه، وسفراؤه إلى رسله، {لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون}، {بل عباد مكرمون. لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون}، {يسبحون الليل والنهار لا يفترون}. وأما العقل فلا ينكر وقوع المعصية من الملائكة، ويوجد منهم خلاف ما كلفوه، ويخلق فيهم الشهوات؛ إذ في قدرة الله تعالى كل موهوم؛ ومن هذا خوف الأنبياء والأولياء الفضلاء العلماء؛ ولكن وقوع هذا الجائز لا يدرك إلا بالسمع، ولم يصح»اهـ[3].

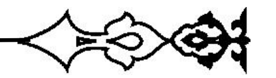
فالذي علينا اعتقاده والاعتناء به: هو ما ورد في القرآن الكريم فقط عن هاروت وماروت؛ لعدم وجود حديثٍ ثابتٍ عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّـم فيها؛ وأنَّ ما ورد في الإسرائيليات عنهما يجب رده وإبطاله؛ لأنه معارض لعصمة ساداتنا الملائكة عليهم أفضل السلام.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٩٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٩٨).

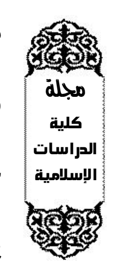
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٥٢).





قال الحافظ ابن كثير: «وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال»اهـ(1).

ما التوجيه المناسب لعصمة الملائكة؟



ذهب أكثر المفسرين إلى أن الله تعالى قد امتحن الناسَ بالمَلَكيْن، فأرسلهما لتعليم السحر وتبيينه، وتنبيه الناس على أنَّ عمله كفر؛ فَمن تعلَّمه كَفَرَ، ومَن تَرَكَه آمن، قال الله تعالى حكاية عنهما: {إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ} [البقرة: ١٠٢]؛ فكان تعليمهما للناس تعليمَ إنذار، أي: يقولان لِمَن جاء يطلب تَعَلَّمَه: "لا تفعلوا كذا؛ فإنه يفرّق بين المرء وزوجه؛ ولا تتحيلوا بكذا؛ فإنه سحر، فلا تكفروا"(2).

قال القاضي عياض: «فعلى هذا: فِعْلُ المَلَكيْن طاعةٌ، وتَصَرُّفُهُما فيما أُمِرَا به ليس بمعصية، وهي لغيرهما فتنة»اهـ(3).

وذكر ابن عرفة التونسي: أنَّ تَعَلَّم السحر كان جائزاً في زمن هاروت وماروت، وكانا مأمورَينِ بتعليمه للنّاس على جهة الابتلاء من الله تعالى؛ فالطائع لا يتعلم السحرَ منهما، والعاصي يبادر إليه ويتعلمه منهما؛ ومثال ذلك: السُّم القاتل، فإن الله تعالى خلقه، ومع ذلك فإنه لا يجوز تناوله. فقوله على هذا: {فَلَا تَكْفُرْ}، إما أن يراد به: "العمل"، أي: يقولان للناس: تعلَّموا السحرَ منَّا، ولا تعملوا به فتكفروا. وإما أن يُراد به: "نفس العلم"، أي: يقولان للناس: نحن يجوز لنا تعليمه لكم، ولكن لا يجوز لكم أن تتعلَّموه منَّا، فمَن تعلَّمه منَّا كَفَر؛ وكان التعليم حينئذ جائزاً، ثم نُسِخَ فصار حراماً(4).

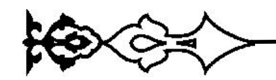
---

(1) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٩٨).

(2) انظر: البيان للباقلاني (ص٨٠)، والشفا للقاضي عياض (ص٧١٢).

(3) الشفا للقاضي عياض (ص٧١٢).

(4) انظر: تفسير ابن عرفة (١/ ٣٨٧).







قال الفخر الرازي في تفسيره: «السبب في إنزالها وجوه:

أحدها: أن السحرة كَثُرَت في ذلك الزمان، واستنبطت أبواباً غريبة في السحر، وكانوا يدَّعون النبوة، ويتحدون الناس بها، فبعث الله تعالى هذين المَلَكيْن لأجل أن يعلِّما الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة أولئك الذين كانوا يدَّعون النبوة كذباً؛ ولا شك أن هذا من أحسن الأغراض والمقاصد.

وثانيها: أن العلم بكون المعجزة مخالفة للسحر متوقف على العلم بماهية المعجزة وبماهية السحر، والناس كانوا جاهلين بماهية السحر، فلا جرم هذا تعذرت عليهم معرفة حقيقة المعجزة، فبعث الله هذين المَلَكَيْن لتعريف ماهية السحر لأجل هذا الغرض.

وثالثها: لا يمتنع أن يقال: السحر الذي يوقع الفُرقة بين أعداء الله والألفة بين أولياء الله كان مباحاً عندهم أو مندوباً، فالله تعالى بعث المَلَكَيْن لتعليم السحر لهذا الغرض، ثم إن القوم تعلموا ذلك منهما واستعملوه في الشر وإيقاع الفرقة بين أولياء الله والألفة بين أعداء الله.

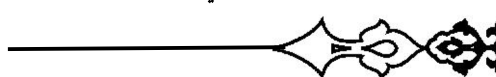
ورابعها: أن تحصيل العلم بكل شيء حَسَنٌ، ولَمَّا كان السحر منهياً عنه، وجب أن يكون متصوراً معلوماً؛ لأن الذي لا يكون متصوراً، امتنع النهي عنه.

وخامسها: لعل الجن كان عندهم أنواعٌ مِن السحر لم يقدر البشر على الإتيان بمثلها، فبعث الله الملائكة ليعلموا البشر أموراً يقدرون بها على معارضة الجن.

وسادسها: يجوز أن يكون ذلك تشديداً في التكليف من حيث إنه إذا علَّمه ما أمكنه أن يتوصل به إلى اللذات العاجلة، ثم منعه مِن استعمالها، كان ذلك في نهاية المشقة، فيستوجب به الثواب الزائد، كما ابتلى قوم طالوت بالنهر على ما قال: {فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي}[البقرة: ٢٤٩].

فثبت بهذه الوجوه أنه لا يبعد من الله تعالى إنزال المَلَكَيْن لتعليم السحر والله أعلم»اهـ[١].

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي (٣/ ٢٣٨).





المبحث السادس

هل سُحِرَ النبيُ صلى الله عليه وسلم؟

قضية وقوع السحر على سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلَّم من القضايا التي حصل حولها نقاشٌ قديماً وحديثاً.

ونريد في هذا المبحث أن نجيب عن بعض الأسئلة المتعلِّقة بهذه القضية، لنصل إلى نتيجةٍ صحيحةٍ مستقيمةٍ مع مبدأ عصمة الأنبياء -عليهم أفضل الصلاة والسلام- الذي جاء به ديننا الحنيف.

والأسئلة ما يلي:

١- هل ثبتت حادثة سحر النبي صلى الله عليه وسلَّم في الكتاب أو السنة؟

٢- في حال ثبوت ذلك: ما توجيه العلماء لذلك؟ وما مجال تأثير السحر؟ وهل كان له تأثيرٌ بالأمور المتعلقة بالوحي؟

أولاً: هل ثبتت حادثة سحره صلى الله عليه وسلَّم في الكتاب أو السنة:

لم يرد في كتاب الله تعالى ما يدل على أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلَّم قد سحر، إلا أنه قد ورد في السنة المطهرة ما يُثبت وُقوعَ ذلك له صلى الله عليه وسلَّم.

ومِن ذلك: ما رواه الشيخان وغيرُهما عن السيدةُ عائشة رضي الله عنها:

أَنَّ رَسُولَ اللهِّ صلى الله عليه وسلَّم طُبَّ [١]، حَتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ قَدْ صَنَعَ الشَّيءَ وَمَا صَنَعَهُ[٢]،

---

(١) بضم الطاء المهملة وتشديد الموحدة، أي: سحر. انظر: إرشاد الساري (٩/ ٢٢١).

(٢) أي: جامع نساءه وما جامعهن، فإذا دنا منهنّ، أخذته أخذةُ السحر، فلم يتمكن مِن ذلك ولم يكن ذلك إلا في أمر زوجاته فلا ضرر فيه على نبوّته إذ هو معصوم. انظر: إرشاد الساري (٨/ ٤٠٦).



وَإِنَّهُ دَعَا رَبَّهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَّ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟[1]»، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهَّ؟ قَالَ: «جَاءَنِي رَجُلانِ[2]، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ[3]. قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ[4]؟ قَالَ: فِيمَا ذَا؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ[5]، وَجُفِّ طَلْعَةٍ[6]. قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي ذَرْوَانَ، وَذَرْوَانُ: بِئْرٌ فِي بَنِي زُرَيْقٍ[7]».

قَالَتْ: فَأَتَاهَا[8] رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلَّم، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ، فَقَالَ: «واللهَّ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ[9]، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ[1]».

---

(١) أي: أجابني فيما دعوته، فأطلق على الدعاء: استفتاء؛ لأن الداعي طالبٌ، والمجيب مفت، أو المعنى: أجابني بما سألته عنه؛ لأن دعاءه كان أن يطلعه الله على حقيقة ما هو فيه لما اشتبه عليه من الأمر. انظر: فتح الباري (١٠/ ٢٣٨).

(٢) أي: ملكان في صفة رجلين. انظر: إرشاد الساري (٩/ ٦٣).

(٣) المطبوب: المسحور، يُقال: "طب الرجل" إذا سُحِر، فكنوا بالطب عن السحر، كما كنوا بالسليم عن اللديغ. قال ابن الأنباري: "الطب" من الأضداد، يقال لعلاج الداء: طب، وللسحر: طب، وهو مِن أعظم الأدواء، و"رجل طبيب": أي حاذق، سمي طبيباً لحذقه وفطنته. شرح النووي على صحيح مسلم (٥/ ٣٤٧).

(٤) رجل من بني زريق، حليف اليهود، وكان منافقًا. انظر: إرشاد الساري (٩/ ٢٢٢).

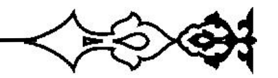
(٥) المُشْط: الآلة المعروفة. والـمُشَاطة: ما يخرج من الشعر بالمشط. انظر: إرشاد الساري (٩/ ٢٢٢).

(٦) هو وعاء طلع النخل، وهو الغشاء الذي يكون عليه، ويطلق على الذكر والأنثى، فلهذا قيَّده في الحديث بقوله: "طلعة ذكر"، وهو بإضافة طلعة إلى ذكر. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٥/ ٣٤٨).

(٧) بنو زريق: بطنٌ من الأنصار مشهور من الخزرج، وكان بين كثيرٍ مِن الأنصار وبين كثيرٍ مِن اليهود قبل الإسلام حلفٌ وإخاء وود، فلما جاء الإسلام ودخل الأنصار فيه، تبرءوا منهم. انظر: فتح الباري (١٠/ ٢٣٧).

(٨) أي: البئر.

(٩) أي: في حمرة لونه. والنقاعة: الماء الذي ينقع فيه الحناء. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٥/ ٣٤٨)، وإرشاد الساري (٩/ ٢٢٢).



قَالَتْ: فَأَتَى رَسُولُ اللهِّ صلى الله عليه وسلَّـم، فَأَخْبَرَهَا عَنِ الْبِئْرِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِّ، فَهَلاَّ أَخْرَجْتَهُ؟ قَالَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللهُّ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا[2]»[3].

وفي روايةٍ عند الإمام مسلمٍ: أنَّ السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِّ، أَفَلاَ أَحْرَقْتَهُ؟ قَالَ: «لاَ، أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللهُّ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرّاً، فَأَمَرْتُ بِهَا[4] فَدُفِنَتْ»[5].

وروى الحديث أيضاً: أحمد في مسنده[6]، وابن ماجه في سننه[7]، والنسائي في السنن الكبرى[8]، وابن حبان في صحيحه[9]، والطبراني في الأوسط[10]، وغيرهم من علماء الحديث الشريف.

فالحاصل: أنَّ الحديث ثابتٌ بطُرقٍ صحيحة، وهو صريحٌ في وُقوعِ السِّحر لسيدنا ونبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلَّـم.

ثانياً: توجيه العلماء للحديث المثبت لوقوع السحر له ﷺ:

---

(١) أي: كأن نخل البستان الذي هي فيه: رؤوس الشياطين في بشاعة منظرهـا وخبثهـا، ويحتمـل أن يـراد بـ "رؤوس الشياطين": رؤوس الحيات؛ إذ العرب تسمي بعض الحيات شيطانًا. انظر: إرشاد الساري (٩/ ٢٢٢).

(٢) أي: باستخراجه فيتعلمونه ويضرون به المسلمين. انظر: إرشاد الساري (٩/ ٢٢٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجمعة، باب: من انتظر حتى تدفن، برقم: (٣٢٦٨).

(٤) أي: البئر.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب السلام، باب: السحر، برقم: (٢١٨٩).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده،في باقي مسند الأنصار، برقم: (٢٤٣٤٥).

(٧)أخرجه ابن ماجه في سننه، في كتاب الطب، باب: السحر، برقم: (٣٥٤٥).

(٨)أخرجه النسائي في السنن الكبرى، في كتاب الطب، باب: في السحر، برقم: (٧٥٦٩).

(٩) أخرجه ابن حبان في صحيحه، في كتاب التاريخ، باب: كتب النبي صلى الله عليه وسلم، برقم: (٦٥٨٣).

(١٠) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ١٠١)، برقم: (٥٩٢١).





بعد ذِكْرِ ما يُثبت وُقوعَ السِّحر للنبي صلى الله عليه وسلَّم في السنة العطرة، نريد أنْ نَعْرِف توجيهَ العلماء لهذا الحديث، وكيف كان تَأْثِير السحر على النبي صلى الله عليه وسلَّم؟ وهل أثر في شيء متعلِّقٍ بالوحي أو الرسالة؟



وقد ناقش هذا الحديثَ، ووجَّه التوجيهَ الصحيحَ السليمَ، مجموعةٌ مِن العلماء، وسنقتصر على ذِكْرِ مناقشة القاضي عياض اليَحصُبي، والحافظ ابن حجر العسقلاني-رحمهما الله تعالى-؛ لأنهما قد ذكرا خلاصةَ مناقشةِ أهل العلم لهذا الحديث.

أمَّا القاضي عياض، فقد ناقش الحديثَ السابق، وذَكَر الاتفاقَ على صحته، منبهاً على أنَّ الذي طَعن فيه هم الملحدة؛ ليصلوا إلى التشكيك في الشرع[١].

ثم قال: «وإنما السِّحر مرضٌ مِن الأمراض، وعارِضٌ مِن العلل، تجوز عليه[٢]، كأنواع الأمراض مما لا يُنْكَرُ، ولا يَقْدَح في نبوته»اهـ[٣].

وبَيَّنَ القاضي عياض أنَّ ما وَرَدَ أنه صلى الله عليه وسلَّم كان يخيّل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله، أنه ليس في هذا ما يُدْخِلُ عليه داخلةً في شيءٍ مِن تبليغِهِ أو شريعتِهِ، أو يَقدح في صدقه؛ لقيام الدليل والإجماع على عصمته مِن هذا؛ وأنَّ مجال هذا التخيّل هو في الأمور المتعلقة بدنياه التي لم يُبْعَث بسببها، ولا فُضِّل مِن أجلها؛ بل هو صلى الله عليه وسلَّم فيها عُرْضَةٌ للآفات كسائر البشر؛ فغير بعيد أنْ يخيّل إليه مِن أمورها ما لا حقيقة له، ثم ينجلي عنه كما كان[٤].

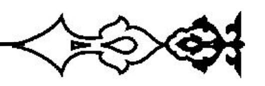
وقد يكون المعنى أنه صلى الله عليه وسلَّم كان يتخيّل الشيء أنه فعله وما فعله، لكنه تخييل لا

(١) انظر: الشفا (ص٧١٩).

(٢) أي: النبي صلى الله عليه وسلَّم.

(٣) الشفا (ص٧١٩).

(٤) انظر: الشفا (ص٧١٩-٧٢٠).





يعتقد صحته، لتكون اعتقاداته كلها على السداد، وأقواله على الصحة[1].

ثم قال القاضي: «قد ظهر لي في الحديثِ تأويلٌ أَجْلَى وأَبْعَد مِن مطاعن ذوي الأضاليل، يُستفاد مِن نَفْسِ الحديث، وهو: أنَّ عبد الرزاق قد روى هذا الحديثَ عن ابن المسيب وعروة بن الزبير، وقال فيه عنهما: "سَحَرَ يهودُ بني زريق رسولَ الله صلى الله عليه وسلَّم، فجعلوه في بئرٍ حتى كاد رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم أن يُنْكِرَ بصره، ثم دلّه اللهُ على ما صنعوا، فاستخرجه مِن البئر". ورُوِي نحوُه عن الواقدي، وعن عبد الرحمن بن كعب، وعمر بن الحكم. وذكر[2] عن عطاء الخُراساني، عن يحيى بن يَعْمَر: "حُبِس رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم عن عائشة سنةً، فبينا هو نائم، أتاه ملكان، فقعد أحدُهما عند رأسه، والآخر عند رجليه" الحديث. قال عبد الرزاق: حُبِسَ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم عن عائشة خاصةً سنةً حتى أنكر بصره. وروى محمد بن سعد عن ابن عباس: مَرِض رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم، فحُبِس عن النساء والطعام والشراب، فهبَطَ عليه مَلَكَان، وذكر القصة. فقد استبان لك مِن مضمون هذه الرواياتِ: أنَّ السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه، لا على قلبه واعتقادِه وعَقْلِه، وأنه إنما أَثَّرَ في بصره، وحَبَسَه عن وطءِ نسائه، وطعامِه، وأَضْعَفَ جسمَه وأمرضه»اهـ[3].



فعلى هذا يكون معنى قوله: "يخيّل إليه: أنه يأتي أهله ولا يأتيهن"، أي: يظهر له من نشاطه، ومتقدم عادته، القدرةُ على النساء، فإذا دنا منهن، أصابته أَخْذَةُ السحر، فلم يقدر على إتيانهن، كما يعتري مَن أصيب بعارِضٍ مِن مرضٍ مثلاً منعه مِن إتيان أهله. ويكون معنى قولِ عائشة

(١) انظر: الشفا (ص٧٢٠).

(٢) أي: عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (١١/ ١٤)، برقم: (١٩٧٦٥).

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ص٧٢١-٧٢٢).



في الرواية الأخرى: "إنه ليخيّل إليه أنه فعل الشيء وما فعله"، أنه مِن باب ما اختل مِن بصره، فيظن أنه رأى شخصاً مِن بعض أزواجه، أو شاهد فعلاً مِن غيره، ولم يكن على ما يُخَيَّلُ إليه؛ لِمَا أصابه في بصره، وضِعْفِ نظره، لا لشيء طَرَأَ عليه في تمييزه(1).



قال الحافظ ابن حجر معقّباً على كلام القاضي عياض السابق: «ويؤيد جميع ما تقدم: أنه لم يُنقل عنه في خبرٍ مِن الأخبار أنه قال قولاً فكان بخلاف ما أَخْبَرَ به»اهـ(2).

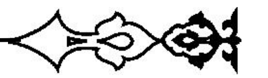
وأمَّا الحافظ ابن حجر فقد قال: «قال المازري: أنكر بعضُ المبتدعة هذا الحديث، وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها؛ قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك، فهو باطل. وزعموا: أنَّ تجويزَ هذا يُعدم الثقةَ بما شرعوه مِن الشرائع؛ إذ يحتمل على هذا أنْ يخيّل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثَمَّ، وأنه يُوحَى إليه بشيء ولم يُوْحَ إليه بشيء.

قال أبو عبد الله المازري (٥٣٦هـ): وهذا كلُّه مردودٌ؛ لأنَّ الدليلَ قد قام على صِدْقِ النبيِّ صلى الله عليه وسلَّـم فيما يبلغه عن الله تعالى، وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شاهداتٌ بتصديقه، فتجويز ما قام الدليلُ على خلافه باطل؛ وأما ما يتعلق ببعض أمورِ الدنيا التي لم يُبْعَث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها، فهو في ذلك عرضة لِمَا يعترض البشر كالأمراض، فغير بعيد أنْ يخيّل إليه في أمرٍ مِن أمور الدنيا ما لا حقيقة له، مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين.

قال: وقد قال بعض الناس: إنَّ المرادَ بالحديث: أنه كان صلى الله عليه وسلَّـم يخيّل إليه أنه وطئ زوجاتِه ولم يكن وطأهن، وهذا كثيراً ما يقع تخيله للإنسان في المنام، فلا يبعد أنْ يخيل إليه في اليقظة. قلت: وهذا قد ورد صريحاً في رواية ابن عيينة، ولفظه: "حتى كان يُرى أنه يأتي

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ص٧٢٠).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٢٣٨).





النساء ولا يأتيهن"، وفي رواية الحميدي: "أنه يأتي أهله ولا يأتيهم". قال الداودي: "يُرى" بضم أوله، أي: يظن. وقال ابن التين: ضبطت "يَرى" بفتح أوله. قلت: وهو من الرأي، لا من الرؤية، فيرجع إلى معنى: الظن. وفي مرسل يحيى بن يعمر عند عبد الرزاق: "سحر النبي صلى الله عليه وسلَّـم عن عائشة حتى أنكر بصره"، وعنده في مرسل سعيد بن المسيب: "حتى كاد ينكر بصره"»اهـ(1).



فالحاصل: أنَّ وقوعَ السحر على النبي صلى الله عليه وسلَّـم لم يؤثر في مبدأ العصمة شيئاً؛ لأنَّ السحر لم يكن في الأمور المتعلقة بالتشريع أو في البلاغ عن الله تعالى؛ بل كان السحر الذي أصابه صلى الله عليه وسلَّـم مجاله الأمور الدنيوية، فهو إذن كمرضٍ مِن الأمراض التي تُجوز في حقِّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

فلم يكن التخيّل في مجال التشريع والتبليغ، وإنما كان في أمورٍ دنيوية، كتخيّل إتيان الأهل، من غير وقوع ذلك.

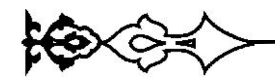
لذا قال المهلب بن أبي صفرة (٤٣٥هـ): «صون النبي صلى الله عليه وسلَّـم مِن الشياطين لا يمنع إرادتَهم كيده، فقد مضى في الصحيح أنَّ شيطاناً أراد أنْ يُفسِدَ عليه صلاته، فأمكنه الله منه؛ فكذلك السحر ما ناله مِن ضرره ما يُدخل نقصاً على ما يتعلق بالتبليغ، بل هو مِن جنس ما كان يناله مِن ضرر سائر الأمراض: مِن ضعفٍ عن الكلام، أو عجزٍ عن بعض الفعل، أو حدوثِ تخيلٍ لا يستمر، بل يزول ويُبْطِل اللهُ كيدَ الشياطين»اهـ(2).

وذهب بعض أهل العلم إلى أنَّ المرادَ مِن قوله تعالى: {وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}[المائدة: ٦٧] هو عصمة النفس، وسلامتها من الافتلات؛ قال الشيخ ابن حجر الهيتمي: «وإنما أَثَّرَ السحر في رسول الله صلى الله عليه وسلَّـم مع قوله تعالى: {وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}[المائدة: ٦٧] إما لأن المراد منه:

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٢٣٧-٢٣٨) باختصار.

(٢) فتح الباري (١٠/ ٢٣٨).



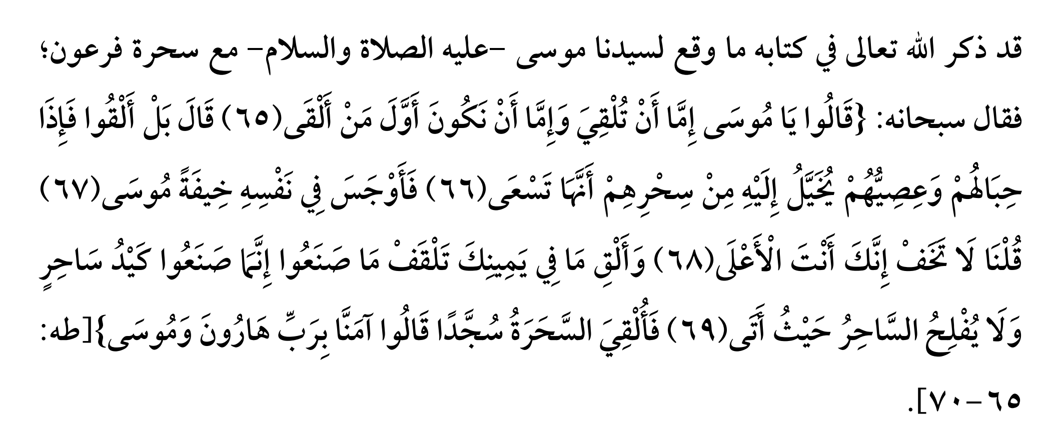


عصمةُ القلبِ والإيمانِ، دون عصمة الجسد عما يَرِدُ عليه مِن الحوادث الدنيوية؛ ومِن ثَمَّ سُحِر، وشُج وجهه، وكُسرت رباعيته، ورُمي عليه الكرش والتراب، وآذاه جماعةٌ مِن قريش. وإما لأن المراد: عصمةُ النفس عن الافتلات، دون العوارض التي تعرض للبدن مع سلامة النفس. وهذا أولى، بل هو الصواب؛ لأنه صلى الله عليه وسلَّـم كان يُحرس، فلما نزلت الآية، أُمر بترك الحرس»اهـ[1].

المبحث السابع

هل سُحِر سيدنا موسى عليه السلام؟

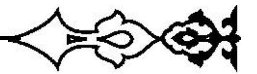
قد ذكر الله تعالى في كتابه ما وقع لسيدنا موسى -عليه الصلاة والسلام- مع سحرة فرعون؛ فقال سبحانه: {قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى(٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى(٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى(٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى(٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى(٦٩) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى}[طه: ٦٥-٧٠].



فهل يُفهم من هذه الآيات أن سيدنا موسى -عليه السلام- قد سُحِر، فخُيِّل إليه مِن سِحرِهم أَنَّها تسعى، فَأَوْجَسَ في نفسه خِيفَةً؟

نقول: لو افترضنا وقوع السحر على سيدنا موسى -عليه الصلاة والسلام-، فإنه لم يكن مسلطاً على عقله أو قلبه أو اعتقاده، بل كان عبارة عن تخيّل في الظاهر؛ وقد تقدم في المبحث السابق أنه يجوز وقوع السحر على الأنبياء -عليهم السلام-، بشرط أن يكون غير متعلق بأمور التشريع أو البلاغ عن الله تعالى، وأن لا يكون السحر متسلطاً على قلب الأنبياء واعتقادِهم وعَقْلِهم؛ بل يكون كمرضٍ مِن الأمراض التي تُجوز في حقِّ الأنبياء عليهم الصلاة

(١)انظر: الزواجر (٢/ ٢١٩).







والسلام.

وقد رفض الفخر الرازي وقوع السحر على سيدنا موسى في هذه الحادثة قائلاً: «فأما ما رُوِيَ عن وهب: أنهم سَحروا أعين الناس وعين موسى عليه السلام حتى تخيّل ذلك؛ مستدلاً بقوله تعالى: {فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ}[الأعراف: ١١٦]، وبقوله تعالى: {يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى}، فهذا غير جائز؛ لأن ذلك الوقت وقت إظهار المعجزة والأدلة وإزالة الشبهة، فلو صار بحيث لا يميز الموجود عن الخيال الفاسد، لم يتمكن مِن إظهار المعجزة، فحينئذ يفسد المقصود، فإذن المراد: أنه شاهد شيئاً، لولا علمه بأنه لا حقيقة لذلك الشيء، لظن فيها أنها تسعى»اهـ[١].

وأما عن المراد من قوله تعالى: {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى}فقد ذكر الفخر الرازي: أن الإيجاس: هو استشعار الخوف، أي: وَجَدَ في نفسه خوفاً. فإن قيل: إنه لا مزيد في إزالة الخوف على ما فعله الله تعالى في حق سيدنا موسى عليه السلام، فإنه كلَّمه أولاً، وعرض عليه المعجزات الباهرة كالعصا واليد، ثم إنه تعالى صيَّرها كما كانت بعد أن كانت كأعظم ثعبان، ثم إنه أعطاه الاقتراحات الثمانية وذكر ما أعطاه قبل ذلك من المنن الثمانية، ثم قال له بعد ذلك كله: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}[طه: ٤٦]، فمع هذه المقدمات الكثيرة كيف وقع الخوف في قلبه؟[٢]

والجواب عنه من وجوه[٣]:

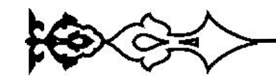
١ -أن ذلك الخوف إنما كان لِمَا طُبِع الآدمي عليه مِن ضعف القلب، وإن كان قد علم موسى

---

(١) التفسير الكبير (٢٢/ ٨٣-٨٤).

(٢) انظر: التفسير الكبير للرازي (٢٢/ ٨٤).

(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي (٢٢/ ٨٤).





عليه السلام أنهم لا يصلون إليه، وأن الله تعالى ناصره، وهذا قول سيدنا الحسن البصري رضي الله عنه (١١٠هـ).

٢-أنه خاف أنْ تدخل على الناس شبهةٌ فيما يرونه، فيظنوا أنهم قد ساووا سيدنا موسى عليه السلام، ويشتبه ذلك عليهم؛ وهذا التأويل متأكد بقوله: {لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى}؛ وهذا قول مقاتل بن سليمان (١٥٠هـ).



٣-أنه خاف حيث بدؤوا وتأخر إلقاؤه أن ينصرف بعض القوم قبل مشاهدة ما يلقيه، فيدوموا على اعتقاد الباطل.

٤-أن سيدنا موسى -عليه السلام- قد يكون مأموراً بأن لا يفعل شيئاً إلا بالوحي، فلَمّا تأخر نزول الوحي عليه في ذلك الوقت، خاف أن لا ينزل عليه الوحي في ذلك الوقت، فيبقى في الخجالة.

٥-أن سيدنا موسى -عليه السلام- لعله خاف مِن أنه لو أبطل سحر أولئك الحاضرين فلعل فرعون قد أعد أقواماً آخرين فيأتيه بهم، فيحتاج مرة أخرى إلى إبطال سحرهم، وهكذا من غير أن يظهر له مقطع، وحينئذ لا يتم الأمر ولا يحصل المقصود.

وقد ناقش الرازي أمراً آخر هنا، وهو: أنه كيف يجوز أن يقول موسى عليه السلام: {بَلْ أَلْقُوا}، فيأمرهم بما هو سحر وكفر؛ لأنهم إذا قصدوا بذلك تكذيب سيدنا موسى عليه السلام كان كفراً؟[1]

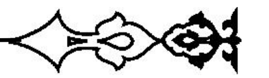
وذكر أنَّ الجواب من وجوه[2]:

١-لا نسلم أن نفس الإلقاء كفر ومعصية؛ لأنهم إذا ألقوا وكان غرضهم أن يظهر الفرق بين

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٢/ ٨٢).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٢٢/ ٨٢).



ذلك الإلقاء وبين معجزة الرسول عليه السلام -وهو سيدنا موسى-، كان ذلك الإلقاء إيماناً، وإنما الكفر هو القصد إلى تكذيب سيدنا موسى، وهو عليه السلام إنما أمر بالإلقاء، لا بالقصد إلى التكذيب فزال السؤال.



٢-أنَّ الأمر كان مشروطاً، والتقدير: "ألقوا ما أنتم ملقون إن كنتم محقين"، كما في قوله تعالى: {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[البقرة: ٢٣]، أي: إن كنتم قادرين.

٣-أنه لَمَّا تعين ذلك طريقاً إلى كشف الشبهة، صار جائزاً؛ وهذا كالمحق إذا علم أن في قلب واحد شبهة، وأنه لو لم يطالبه بذكرها وتقريرها بأقصى ما يقدر عليه، لبقيت تلك الشبهة في قلبه، ويخرج بسببها عن الدين، فإن للمحق أن يطالبه بتقريرها على أقصى الوجوه، ويكون غرضه من ذلك أن يجيب عنها ويزيل أثرها عن قلبه، فمطالبته بذكر الشبهة لهذا الغرض تكون جائزة، فكذا هاهنا.

٤-أن لا يكون ذلك أمراً، بل يكون معناه: إنكم إن أردتم فعل السحر، فلا مانع منه حساً، لكي ينكشف الحق الذي جئت به.

٥-أن سيدنا موسى عليه السلام لا شك أنه كان كارهاً لذلك، ولا شك أنه نهاهم عن ذلك بقوله -كما حكى القرآن-: {وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ}[طه: ٦١]، وإذا كان الأمر كذلك، استحال أن يكون قوله أمراً لهم بذلك؛ لأن الجمع بين كونه ناهياً وآمراً بالفعل الواحد، محال، فعلمنا أن قوله غير محمول على ظاهره، وحينئذ يزول الإشكال.

والله تعالى أعلم

والحمد لله رب العالمين



الخاتمة

بعد مناقشة القضايا العقدية المتعلقة بالسحر، نذكر هنا أهم النتائج التي توصلنا إليها، وبعض التوصيات.



أَمَّا النتائج فهي ما يلي:

١. يطلق السِّحْرُ في اللغة على ما لَطُفَ مأخَذُهُ ودَقَّ، وعلى الأُخذة التي تأخذ العين، حتى يظن أَنَّ الأمر كما يرى، وليس الأصل على ما يرى.

٢. إذا أُطلق السحر ولم يُقَيَّد، أفاد ذمَّ فاعله؛ وقد يُستعمل مقيَّداً فيما يُمدح ويُحمد.

٣. السحر عند أكثر العلماء أمرٌ غريب، يشبه خوارق العادات، وليس خارقاً للعادة؛ لأنه ينال بالتعلم والتتلمذ؛ يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان بارتكاب القبائح قولاً وعملاً.

٤. اختلف العلماء في تعريف السحر اصطلاحاً، لاختلافهم في أن السحر هل هو أَمْرٌ خارقٌ للعادة أم لا؟

٥. يفرَّق بين السحر والمعجزة: بأَنَّ المعجزة لا يمكن معارضتها، وأنها مقرونة بالتحدي، وأنها خارِقة للعادة، بخلاف السحر؛ وكذلك يفرق بينهما بقرائن الأحوال الموجودة في حق الأنبياء عليهم السلام، المفقودة في حق غيرهم.

٦. يفرَّق بين السحر والكرامة: أن الكرامة تجري على يد عبد صالح ممتثل لأوامر الشرع مجتنب لنواهيه؛ بخلاف السحر، فإنه يجري على يد مَن علم أسبابه الخفية بواسطة تعليمات شيطانية، ويكون مباشرتها معصية تارة، وكفراً أخرى. وأيضاً: الكرامة تكون خارِقة للعادة، بخلاف السحر فإنه لا يكون خارقاً لها.

٧. الفرق بين المعجزة والكرامة: أن الكرامة لا تكون مقارنة لدعوى النبوة.

٨. أثبت جماهير العلماء وجود السحر؛ لثبوته في كتاب الله تعالى وسنةِ نبيه صلى الله عليه وسلَّـم، وخالف في ذلك فئة قليلة كابرت في ذلك.






٩. اختلف المثبتون للسحر: هل له حقيقة أم لا؟ فذهب بعضهم إلى أنه تخييل لا حقيقة له؛ وذهب الجمهور إلى أنَّ له حقيقة.

١٠. اختلف العلماء في السحر، هل يقع به انقلاب عين أو لا؟ فمن قال: "إنه تخييل فقط" منع ذلك؛ ومن قال: "إن له حقيقة" اختلف في ذلك: والجمهور على أن له تأثيراً فقط، بحيث يغير المزاج؛ فيكون السحر نوعاً من الأمراض؛ وذهب البعض إلى أن السحر ينتهي إلى الإحالة، بحيث يصير الجماد حيواناً مثلاً وعكسه.

١١. عمل وفِعْل السحر حرام، وهو من كبائر الذنوب بالإجماع، وهو مِن السبع الموبقات؛ ومن اعتقد إباحته، فهو كافر.

١٢. حكم الساحر مِن حيث الإيمان والكفر، يرجع للسحر نفسه؛ فالسحر قد يكون كفراً، وقد لا يكون كفراً بل كبيرة من الكبائر. وظاهر كلام المتكلّمين أنّ التكفير إنّما هو بأحد ثلاثة أمور: ١-قول كلمة الكفر. ٢-السّجود لصنم. ٣-الفعل المكفّر.

١٣. السحر مراتب، منها ما هي كفر بالاتفاق، كأن يعتقد الساحر أن الكواكب مؤثرة لهذا العالم، أو أن الإنسان يصل بالتصفية إلى أن تصير نفسه مؤثرة في إيجاد جسم أو حياة أو تغيير شكل، ونحو ذلك. ومنها ما هي محل خلاف بين العلماء وهي المراتب الأخرى الموضحة في البحث، فقال بعضهم: إن السحر كفر مطلقاً، وقال الآخر: إنّ السحر ليس كفر، بل هو معصية.

١٤. وردت أحاديث تنهى عن إتيان الساحر أو الكاهن أو العرَّاف مطلقاً من غير تقييدٍ بتصديقهم، وهناك أحاديث نسبت الكفر لمن صدقهم؛ فمَن أتى كاهناً أو عرَّافاً وصدَّقهما في قولهما، كفر والعياذ بالله تعالى؛ لإشراكه الغير مع الله تعالى في علم الغيب الذي استأثر به الله تبارك وتعالى؛ ومَن أتاهما لمجرد السؤال ولم يصدِّقهما، لم يكفر، بل يُحرم مِن ثواب صلاته أربعين يوماً؛ زجراً له عما فعل.

١٥. أجمع المسلمون على أن حكمَ المرسلين من الملائكة، حكمُ النبيِّين في العصمة؛

واختلفوا في غير المرسلين من الملائكة: فذهبت طائفة: إلى عصمة جميعهم عن المعاصي، وذهبت طائفة: إلى أن هذا مخصوص للمرسلين منهم والمقربين، والصواب: عصمة جميعهم.

١٦. وردت قصة هاروت وماروت في القرآن الكريم مجملة من غير بسط ولا إطناب فيها، وذهب أكثر العلماء إلى أنه لم يثبت في السنة الصحيحة تفصيل لقصتهما، وإنما الموجود عبارة عن إسرائيليات باطلة يجب ردَّها وإبطالها؛ لمعارضتها لعصمة الملائكة عليهم السلام.

١٧. التوجيه الصحيح لقصة هاروت وماروت: أن الله تعالى امتحن الناسَ بهما، فأرسلهما لتعليم السحر، وتنبيه للناس على أنَّ عمله كفر؛ فَمن تعلَّمه كَفَرَ، ومَن تَرَكَه آمن؛ فكان تعليمهما للناس تعليمَ إنذار، أي: يقولان لِمَن جاء يطلب تَعَلَّمَه: "لا تفعلوا كذا؛ فإنه يفرق بين المرء وزوجه؛ ولا تتحيلوا بكذا؛ فإنه سحر، فلا تكفروا"؛ فعلى هذا: فِعْلُ المَلَكين طاعةٌ، وتَصَرُّفُهُما فيما أُمِرَا به ليس بمعصية، وهي لغيرهما فتنة.

١٨. من أسباب إنزال هاروت وماروت: أ-أن السحرة كَثُرَت في ذلك الزمان، وكانوا يَدَّعون النبوة، ويتحدون الناس بها، فبعثهما الله تعالى لأجل أن يعلّما الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة أولئك الذين كانوا يدَّعون النبوة كذباً. ب-أن العلم بكون المعجزة مخالفة للسحر متوقف على العلم بماهيتهما، والناس كانوا جاهلين بماهية السحر، فلا جرم هذا تعذرت عليهم معرفة حقيقة المعجزة، فبعث الله هذين المَلَكَيْن لتعريف ماهية السحر لأجل هذا الغرض.

١٩. ورد في السنة المطهرة الصحيحة ما يُثبت وُقوعَ السحر له صلى الله عليه وسلَّـم، ولم يرد ذلك في كتاب الله تعالى؛ والحديث ثابتٌ بطُرقٍ صحيحة؛ قال المازري: أنكر بعضُ المبتدعة هذا الحديث.

٢٠. السحر الذي أصابه صلى الله عليه وسلَّـم مرضٌ مِن الأمراض الجائزة في حقه، ولم



يؤثر في تبليغه الشريعة المطهرة، أو في صدقه؛ وإنما كان مجاله الأمور المتعلقة بدنياه؛ فتسلط على ظاهره وجوارحه، وحَبَسَه عن وطءِ نسائه، وطعامِه، وأمرضه.

٢١. مع جواز وقوع السحر على الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- بالضوابط السابقة، إلا أن بعض العلماء قد رفض أن سيدنا موسى -عليه السلام- قد سحره سحرة فرعون؛ لأن ذلك الوقت وقت إظهار المعجزة والأدلة وإزالة الشبهة، فلو صار بحيث لا يميز الموجود عن الخيال الفاسد، لم يتمكن مِن إظهار المعجزة، فحينئذ يفسد المقصود.



وأمَّا التوصيات فهي ما يلي:

١. على العلماء وطلاب العلم والباحثين الاعتناء بالقضايا العقدية التي أُثيرت حولها الشكوك؛ ليتبين للناس الخطأ من الصواب؛ لأن كثيراً مما يُطرح قد أورث في نفوس الناس عدم المصداقية في كلام العلماء، وأورث في نفوسهم أيضاً الشك في أهم مصادر التشريع: "الكتاب والسنة".

٢. على الباحثين أن يعتنوا بدراسة المسائل العقدية التي لم تعطَ القدر الكافي من الدراسة؛ حيث إن كثيراً منها مازال بحاجة للبحث؛ وفيها نفع كبير للباحثين والمتخصصين.

٣. أن لا يعتمد الباحثون في المسائل العقدية -التي تختلف فيها وجهات النظر- على المراجع التي لا تذكر الخلاف أصلاً، وذلك بأن تكتفي بعرض الرأي الذي تتبنّاه فقط؛ أو على المراجع التي تذكر الخلاف مع عرض الآراء الأخرى بطريقة ضعيفة، تُوهم ضعف هذه الآراء أو ضعف أدلتها.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.





قائمة المصادر



١. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأبي العباس القسطلاني، المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق، ١٣٠٥هـ.

٢. البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات، لأبي بكر الباقلاني، تحقيق: رتشرد يوسف مكارثي، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٥٨م.

٣. تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب للقاسم البكي الكومي، طباعة مؤسسة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٤. التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور التونسي، طباعة الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

٥. التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجاني، طباعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٢م.

٦. تفسير ابن عرفة الورغمي التونسي، طباعة مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٧. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير القرشي، طباعة دار الفيحاء، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٨. التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي، طباعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٩. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، طباعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

١٠. حاشية محمد بن صالح السباعي على شرح أحمد الدردير على الخريدة البهية في علم التوحيد، طباعة المطبعة العامرة، الطبعة الأولى، ١٣٣١هـ.

١١. روضة الطالبين وعمدة المفتين، لمحيي الدين النووي، طباعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

١٢. الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي، طباعة دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١٣. سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية،



صيدا، بيروت.

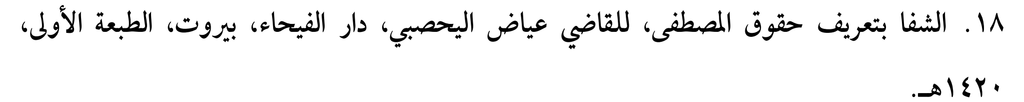
١٤. سنن ابن ماجه (محمد بن يزيد القزويني)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

١٥. السنن الكبرى لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

١٦. سنن محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٧. شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى لمحمد بن يوسف السنوسي، طباعة مطبعة جريدة الأهرام، القاهرة، ١٣١٦هـ.





١٨. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض اليحصبي، دار الفيحاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٩. صحيح ابن حبان البستي بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٢٠. صحيح محمد بن إسماعيل البخاري، طباعة طوق النجاة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢١. صحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٢. فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، طباعة دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي، طباعة دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ-١٩٧٢م.

٢٤. القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروز آبادي، طباعة مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٢٥. القول السديد في علم التوحيد لمحمود أبي دقيقة، طباعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

٢٦. لسان العرب لابن منظور الأنصاري، طباعة دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٢٧. مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة





الخامسة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٨. المختصر الكلامي لابن عرفة الورغمي التونسي، تحقيق: نزار حمادي، دار الضياء، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

٢٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

٣٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لعبد الكريم بن محمد الرافعي، لأحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

٣١. مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٣٢. المعجم الأوسط، لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله، عبد المحسن بن إبراهيم، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

٣٣. المعجم الكبير لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

٣٤. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لمحيي الدين النووي، طباعة دار الخير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.

٣٥. الموسوعة الفقهية الكويتية، طباعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.






مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية